بسم الله الرحمن الرحيم



أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية الأسرة المسلمة

بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة و القانون
(التشريع الإسلامي و متطلبات الواقع)
المنعقد بكلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية
في الفترة: 13 – 2006/3/14م

إعـــــداد
شافــــع الحمـــــادي
الإمارات العربية/ العين

مارس 2006م

الحمد لله عدد خلقه ورضاء نفسه ومداد كلماته، الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الإيمان {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }[1] و الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الأخوة {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }[2] والحمد لله الذي منّ عليّ بأن وطأت قدمي هذه الأرض المباركة التي ما صليت صلاة ولا توجهت إلى الله تعالى بدعاء إلا كان لها نصيب من قلبي ودعائي وتوجهي أن يطول عمري وتكتحل عيني برؤيتها عن كثب. وأصلي وأسلم على خير خلق الله معلم الإنسانية الخير والرشد والإيمان وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين وبعد:

كتب ريتشارد جونز (Richard. F. Jones) الأستاذ في معهد القبالة وأمراض النساء في أمريكا (American College Obstericias and Gynecologists) كتب مقالا في المجلة العائدة لهذا المعهد[3] افتتحه بقوله:" هنالك وباء يجتاح بلدنا... إنه لشنيع.. وإنه غير قابل للتجاوز عنه أو التساهل في أمره... إنه يجب أن يوقف، وإنه لمرض يبعث على الاشمئزاز، ولا يمكن لأي بلد حضاري أن يقبل به. ثم قال: " إنه في كل 12 ثانية في الولايات المتحدة الأمريكية تخضع امرأة لهذا الوباء.. في كل 12 ثانية امرأة تضرب إلى درجة القتل أو التحطيم من قبل زوج أو صديق! وفي كل يوم نرى نتائج هذا الضرب وآثاره في مكاتبنا! في غرف الطوارىء لدينا.. وفي عياداتنا..!"

ولنا أن نسأل ما الذي يجعل المرأة الغربية مقدسة مبجلة إذا كانت فتاة لعوبا تفيض أنوثة وجمالا، ثم تهمل وتقصى إذا تجاوزت مرحلة الصبا والشباب إلى سن الكهولة والشيخوخة والعجز؟!

ولن يحار العاقل جوابا فقد كان التقدير والتبجيل والتقديس إكراما لجمالها وأنوثتها، فلما ذهب الجمال وأخذت تجاعيد السنين تظهر على وجناتها وفي محياها، وغاضت أنوثتها لم

يبق لهم من أرب فيما تبقى لهن، ولم يبق إلا القيمة الإنسانية المجـــردة، والاهتمـــام بالقيمـــة الإنسانية المجردة في الغرب يكلف مغرما بدون مغنم. وليس على ذلك نشأ المجتمع.
أما في المجتمعات الإسلامية فإن المرأة تزداد مكانتها في نفوس الرجال وأعينهم، كلما تقـــدم بها السن وازدادت دنوا من مرحلة الشيخوخة، والمرأة المسنة في الدار هي السيدة فيها بـــدون منازع، لها الكلمة الفصل، والرأي النافذ. وجميع من في المنزل يعاملونها بالتبجيل والحب.

(إن المصيبة أن يقف اللص فيتظاهر بالثورة غيرة على الحقوق والممتلكات، وشفقة على المستضعفين من الناس، ولكنها مصيبة أطم أن تجد في الناس من يصدق غيرة اللصوص ويتأثر بعبارات الشفقة الهادرة على ألسنتهم) هكذا يتعامل من انبهر بالغرب مـــن المـــسلمين صدقوا اللص الخائن في ادعاءاته عن حرية المرأة ومكانتها وحقوقها، وكذبوا الأمين صاحب الدار.) هكذا عبر الأستاذ الفاضل الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى[4].

ولكن لنا أن نتساءل كذلك أليست هذه الأمراض التي ذكرناها فـــي صـــدر البحـــث موجودة ومنتشرة في كثير من بيوتات المسلمين في عصرنا؟ الواقع الحاضر يقول: بلى هـــي كذلك!! إذن من أين اخترقت حصوننا وكيف استطاعت المدنية الزائفـــة ببهرجهـــا أن تـــستبد ببعض ربات الخدور وبعض أصحاب العقول حتى يقعوا في حبائل مكرها وخيوط نـــسيجها!؟ وما هو العلاج ؟! كيف نستطيع أن نخرج من هذا المأزق ونخلص أنفسنا ومجتمعاتنا من هذا البلاء؟

أزعم أن الشر كل الشر إنما جاءنا من مخالفة رسولنا الكريم فـــي طرائـــق تربيتنـــا لأبنائنا ونسائنا، نعم. كيف نتعامل مع المرأة وكيف نربي المرأة؟ أليست هي العنصر الأساس في الأسر؟ أليست مربية الأجيال وصانعة الرجال؟ ومن هنا عزمت أن أوضح بعض أســـاليبه صلى الله عليه وسلم في تربية المرأة حتى تكون لنا نبراسا وللمربين منائرا يقتدون بها. فهـــو صلى الله عليه وسلم المصدر الثاني للتشريع (إن هو إلا وحي يوحى)

لن أتكلم عن مقارنات التربية مع الغرب وهشاشة بنيانه الأسري (بيوت العنكبوت) الذي هو وليد التربية الخطأ، إنما عن التشريع الرباني الذي أعطى الأسرة الحقوق الكاملة وخاصة **حقوقها الاجتماعية**

وأعني بالحقوق الاجتماعية كل ما يعود على المجتمع الذي تعيش فيه المرأة بالخير والسعادة والاستقرار سواء كان ذلك دينيا أم دنيويا.

ومن هنا يجب أن نضع باعتبارنا أن الإسلام لم يضع أي فرق بين المرأة والرجل في ضرورة الالتزام بالضوابط والآداب التي وضعها في هذه الأنشطة، وسأحاول أن أذكر بين أيديكم في هذا البحث المتواضع كيف أن نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ربى المرأة الصحابية على فضائل الأخلاق وعلى الكمالات المباركة في كل شؤون الحياة وبكل طرق التربية ليقدم نموذجا فريدا لمن يأتي بعد ويريد أن يضع رجله في مكان ثابت وطريق معروف. وإنما اخترت عصر الصحابة رضي الله عنهم كنموذج لحقوق المرأة الاجتماعية لأنه العصر المقياس الذي يمكن أن يعطينا صورة واضحة عن المنهج الصحيح للإسلام الفعلي الحقيقي الذي تربى عليه الصحابة جميعا، ومنه نستطيع أن نحكم على صحة ما نرمي إليه أو خلافه.

وفي الحقيقة عندما سمعت بمؤتمركم هذا طرت فرحا إذ قد يبلغني ربي مقصودي من زيارة أهل هذه الأرض المباركة من المرابطين والمجاهدين فأتشرف بأن أضع يدي في يد من وضع روحه في كفه من أجل دينه سائلا الله تعالى أن يتقبل منا جميعا خالص العمل وأن يغفر لنا الهفوات والزلل. ولكن بدد فرحتي أن الوقت كان قد أزف أو أفل، فراسلت الدكتور الفاضل/ مازن هنية فأتاح لي من الوقت مدة أسبوعين لأعمل وأنجز بحثي فكأنه أحياني بعد ممات، فشمرت عن ساعدي، وأطلقت عنان قلمي وجهزت كاغدي، وجعلت أواصل الليل بالنهار لأنجز هذا البحث في وقته حتى لا يفوتني كما يقولون القطار، وتم بحمد الله وأسأل الله تعالى أن يتقبل منا إنه سميع مجيب.

كيف ربى النبي صلى الله عليه وسلم هذه المرأة بل كيف أعـدها وكونهـا وجعلهـا تسابق الرجال في جميع ميادين الخير؟ سنعرف ذلك من خلال مواقفـه وأسـاليبه التربويـة العجيبة وهي باختصار: ثمان أساليب ثم سأذكر بعض المقترحات وأناقش بعض الأفكار التي لها صلة بالبحث كما أن بحثي هذا صلته وثيقة بالمصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وهو السنة النبوية حيث أن تخصصي غلاّب، ونفسي إليه تميل.

وسأكتفي بذكر دليلين أو ثلاثة تحت كل أسلوب من أساليب التربية التـي اسـتخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم أثبت بها ما قررت و أوأكد بها ما قعدت معتمدا علـى الكتـب الستة وليس المقصود الحصر إنما التتبع (فالتتبع ينفي الحصر كما يقولون).

<u>الأسلوب الأول: التربية بالقدوة:</u>

من السهل جدا أن تلقي محاضرة أو خطبة أو تأمر وتنهـى أو تـضع منهجـا تربويا فريدا لكن كل ذلك ستطير به نسائم الصباح الباردة كما يقولون ولن يؤثر سلبا أو إيجابا بل قد يؤثر سلبا إن لم يكن القائل نموذجا عمليا صحيحا لما يقول. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّـذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ،كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }[5] إذن لا بد أن يتمثل المنهج في قدوة تسير بين الناس فيرون المنهج من خلال حركته وكلمته ونظرتـه ومعاملتـه ولهذا بعث الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليكون قدوة للنـاس لجميـع النـاس أبيـضهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، ذكرهم وأنثاهم، فكان صلى الله عليه وسلم قدوة، وعمـل علـى صناعة قدوات ونماذج على نمطه صلى الله عليه وسلم.

وما أحسن ما ذكره سيد قطب وهو يذكر هذا المعنى فيقول:" وانتـصر محمـد بـن عبدالله يوم صنع أصحابه صورا حية من إيمانه تأكل الطعام وتمشي في الأسواق، يوم صـاغ من كل منهم قرآنا حيا يدب على الأرض يوم جعل كل فرد نموذجا مجسما للإسـلام، يـراه الناس فيرون الإسلام، إن النصوص وحدها لا تصنع شيئا، وإن المصحف وحده لا يعمل حتى يكون رجلا، وإن المباديء وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكا، ولقد انتصر محمد بن عبدالله

يوم صاغ من فكرة الإسلام شخوصا، وحول إيمانهم بالإسلام عملا، وطبع من المصحف عشرات من النسخ ثم مئات وألوف ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق، إنما طبعها بالنور على صحائف القلوب، وأطلقها تعامل الناس، وتأخذ منهم وتعطي، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله."[6]

قال تعالى:" {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}[7] لكم أي أنتم المسلمون ذكركم وأنثاكم فالأنثى أو المرأة لها رسول الله أسوة كما هو للرجل أسوة.

أدركت ذلك أم الفضل بنت الحارث عندما قالت:" إن ناسا اختلفوا عندها يوم عرفة في صوم النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه"[8]

فهي تعرف أنه قدوة للناس جميعا وهو واقف على بعيره أمام الناس في يوم عرفة فأرسلت إليه اللبن لتقطع عليهم الشك والتردد فهو القدوة ومن فعله أو قوله يصدرون.

وأم سلمة زوجه عليه الصلاة والسلام أدركت ذلك ففي الحديث الطويل في قصة صلح الحديبية يقول الزهري: قال عمر: " فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله لأصحابه:" قوموا فانحروا ثم احلقوا قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك أخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج ولم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضهم غما"[9]

انزعج الصحابة رضي الله عنهم من شروط صلح الحديبية لذلك بدر منهم هذا التصرف الغريب فلجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجته أم سلمة لا لأنه عاجز عن معالجة الأمر لكن هي طبيعة البشر أن يلجأ الإنسان لمن يحب يشكو له مصابه، كما أنه يقول لكل الناس أن المرأة هي نصفك الثاني وقد يكون عنده ما ليس عندك مما يشعرها بقيمتها

ومكانتها. فأثبتت رضي الله عنها رجاحة في العقل وعمقا في التفكير ... أخرج لا تكلم أحــدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك(هديك) وتدعو حالقك فيحلقك .. فهي تدرك أنه القدوة .. يــدعوهم ثلاث مرات فلم يقم منهم أحد.. فعل ما دعاهم إليه مرة واحدة.. فتسابقوا في الإقتداء بفعله..

وفي هذا المعنى ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها عدة أحاديث نورد منها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه فقالت عائشة: لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تــأخر؟ قــال: أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا، فلما كثر لحمه صلى الله عليه وسلم صلى جالسا فإذا أراد أن يركع قام فقرأ فركع" [10]

فهو صلى الله عليه وسلم قدوة في شكر النعمة والفضل ...فلأن الله غفر لي مــا تقدم من ذنبي وما تأخر لزمني الشكر ولا يكون الشكر باللسان فحسب.. بل كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فلتتعلم ذلك عائشة ونساء المؤمنات بعدها...

عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رهط من اليهود على رسول الله صــلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: بل عليكم السام واللعنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: قد قلت وعليكم"[11]

وهل هناك موقف يعلم منه عائشة رضي الله عنها الرفق من خلاله أفضل مــن هــذا الموقف وألطف منه!! الله يحب الرفق في الأمر كله .. أي حتى في الرد على الخــصوم لأن الرفق ما كان في شيء إلا زانه...

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وســلم إذا دخــل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر"[12] وأيقظ أهله... لكنها قالت قبلها: أحيا الليل... أليس القدوة.

وعن الأسود قال: سألت عائشة: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيتــه ؟ قالت: يكون في مهنة أهله ــ تعني خدمة أهله ــ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة"[13]

متواضع بلغ الذروة في التواضع.. يكون في خدمة أهله .. وهذا درس في التواضع درس عملي يقول لكل الكلمات التي تدعو لهذا الخلق اتبعيني، فأنا القدوة.

الأسلوب الثاني: التربية ببث روح الكرامة والعزة والتقدير والمكانة السامية:

المجتمع المسلم الذي بناه الرسول صلى الله عليه وسلم استطاع أن يتخلص من رواسب المدنيات الجاهلية التي كانت تحتقر المرأة وتصفها في مصاف السوائم والبهائم. فهو صلى الله عليه وسلم أراد بأن تشعر المرأة بأن لها كيانا خلقه الله تعالى وأنها تعيش في مجتمع يشعر بوجودها ومكانتها ويحترم أحاسيسها ومشاعرها بل ويجعل لها مكانها المناسب لتبني وتربي وتنشئ جيلا من نوع خاص وصبغة خاصة ولكي ندرك هذه المكانة السامقة التي أوصل الإسلام إليها المرأة بعد أن كانت نسيا منسيا أو رجسا من عمل الشيطان. تعال بنا نستعرض بعض أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم ووسائله التربوية لكي يرد لهذه المرأة مكانتها ويضعها في موضعها الصحيح:

أولا: تغيير أسمائهن:

فرق بين الاسم الذي يلقي في النفس معنى جميلا وظلا مباركا وبين الاسم الذي يخلق في صاحبه معنى آخر يتعرض من جرائه للسخرية والإهانة أو يشعر في داخله بأن اسمه ليس له .. فهو صلى الله عليه وسلم يبتدأ بتغيير الأسماء لأنه يعلم أن للاسم أثرا في نفس صاحبه وشخصيته... وقد أثبتت الدراسات النفسية الكثيرة في عصرنا هذه القضية وأكدتها ولسنا بحاجة إلى من يثبت لنا ذلك فنحن ندرك{ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}[14]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " إن زينب كان اسمها بره فقيل لها: تزكي نفسها فسماها رسول الله صلى اله عليه وسلم زينب"[15]. وكذلك جويرية بنت الحارث كان اسمها بره فسماها جويرية."[16]

تأمل ... فقيل لها تزكي نفسها .. فهذا اسم (بَرَّة)قد يولد شعورا بالتزكيــة وتفــضيل النفس إذن لنختر لها اسما أفضل منه .. فكان زينب .. يقول ابن منظور: الزينب شجر حسن المنظر طيب الرائحة وبه سميت المرأة" [17] طيب المنظر .. حسن الرائحة فتأمل.
وعن ابن عمر قال: إن ابنة لعمر يقال لها عاصية فسماها رسول الله صلى الله عليــه وســلم جميلة" [18] عاصية كيف تشعر لو أن هذا الاسم كان لابنتك؟ عاصية اسم يلقي في النفس معنى العصيان.. الخروج من الطاعة بل معنى التمرد.. وكانت هذه مشكلة إبليس ... فاختــار لهــا الرسول عليه الصلاة والسلام " جميلة" الجمال .. وحب الجمال في كل شيء حتى في الأسماء .. وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لنا بفعله قدروا المرأة حتى في الأسماء.

ثانيا: السلام عليهن:

بينما كان بعض الأقوام الذين عاصروا زمانه يدرسون هل المرأة إنــسانا أم ليــست بإنسان ؟ كان صلى الله عليه وسلم يربي هذا الإنسان المبارك ويخلق لــه شخــصية خاصــة واحترام خاص يلقي على مربية الأجيال السلام، والسلام الخاص لأنه سلام القدوة الذي يقول للناس هكذا عاملوا المرأة..

عن شهر بن حوشب قال سمعت أسماء بنت يزيد تحدث أن الرسول صلى الله عليــه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم.." [19] مجموعــة مــن النساء جلوس وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجبه مجلسهن فأحب أن يكافئهن بالسلام والرحمة والبركة.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج فقالت امرأة لزوجها: أحجني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما عندي ما أحجــك عليــه. قالت: أحجني على جملك فلان. فقال: ذاك حبيس في سبيل الله عز وجل فــأتى رســول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن امرأتي تقرأ عليك السلام ورحمة الله وإنها سألتني الحج معــك فقلت لها: ما عندي ما أحجك عليه فقالت: أحجني على جملك فلان فقلت: ذاك حبيس في سبيل

الله عز وجل قال: أما إنك لو أحججتها عليه كان في سبيل الله قال: وإنها أمرتني أن أسألك ما يعدل حجة معك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرئها السلام ورحمة الله وبركاته وأخبرها أنها تعدل حجة معي ــ يعني عمرة في رمضان ــ "[20] أما هذه المرأة فيرسل لها رسول الله السلام مع زوجها فهي تستحقه .. لأنها راغبة في أداء فرض ربها ثم لأنها تسأل عن أمر دينها وكيف تعوض ما يمكن أن يفوتها من الخير والرحمة والبركة لو أنها حجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيدلها رسول الله على التعويض.. ويرسل لها الرحمة والسلام والبركة مع زوجها..

ثالثا: زيارتهن وعيادتهن:

عن أنس قال: قال أبوبكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها، فلما انتهيا إليها بكت فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسول صلى الله عليه وسلم فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها" [21]

أم أيمن حاضنته صلى الله عليه وسلم يزورها ليورث لأبي بكر وعمر والناس جميعا مفهوما في صلة الرحم وتقدير المرأة وأن لها من الحقوق الأدبية والاجتماعية ما للرجل..

وعن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال: مالك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين؟ قالت: الحمى، لا بارك الله فيها فقال: لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد" [22]

عيادة وتربية .. نهاها عن سب الحمى لأن الله تعالى هو الذي قدر هذه الحمى وهو يعلم أنها في مصلحة عباده وإن كان ظاهرها البلاء ، أليست تذهب الخطايا؟!!

وعن عبدالملك بن عمير عن أم العلاء قالت: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريضة فقال: ابشري يا أم العلاء فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار

خبث الذهب والفضة"[23] وهاهو صلى الله عليه وسلم يزور امرأة أخرى تسمى أم العلاء وتكفي زيارته لتخفف عنها ولتشعرها بمكانها من الناس ويزيدها فرحا إلى فرحها بزيارته أنه يبشرها بالأجر وذهاب الخطايا، فإذا تذكرت حلاوة ذلك ذهبت عنها مرارة الحمى وحرارتها فأي تخفيف لأثر الحمى كهذا التخفيف ..وقد أثبت العلم أخيرا أن للناحية النفسية دورا بارزا في علاج المريض .. وأي تقدير لمكانة المرأة كهذا التقدير.

رابعا: يستأذنهن:

عند قراءة هذا العنوان يشعر البعض بانقباض، إذ كيف يستأذن الرجل المرأة؟ بل عليها هي أن تستأذِنَني نعم عليها أن تستأذن عندما يتعلق الأمر بحقوقك عليها .. وعليك أن تستأذن عندما يتعلق الأمر بحقوقها عليك .. هذا هو الإسلام يعطي كل ذي حق حقه.

عن معاذة عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذننا إذا كان في يوم المرأة منا بعدما نزلت عليه " ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء " قالت معاذة: ما كنت تقولين لرسول الله صلى الله عليه وسلم: قالت كنت أقول: إن كان ذاك إلي لم أوثر أحدا على نفسي" [24]

لا تريد رضي الله عنها أن تفارقه لحظة، لكن لا بد مما ليس منه بد ، فلزوجاته صلى الله عليه وسلم كذلك حقوق ولذلك يستأذنهن..

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى النساء ــ تعني في مرضه ــ فاجتمعن فقال: إني لا أستطيع أن أدور بينكن فإن رأيتن أن تأْذَنّ لي فأكون عند عائشة فَعَلْتُن، فأَذِنّ له" [25]

لنقف مع الحديث الثاني لحظة .. ولنلاحظ هذه الكلمات بدقة .. لا أستطيع أن أدور بينكن .. فهو صلى الله عليه وسلم لا يستطيع لأنه مريض وذلك في مرض وفاته الأخير صلى الله عليه وسلم لا يستطيع الحركة كما وضحت ذلك رواية البخاري عن عائشة رضي

الله عنها قالت: لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له فخرج بين رجلين تخط رجلاه الأرض.." [26] ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها رغم كل ذلك لا يتناسى أو يتخطى هذه المسألة البسيطة ــ في نظر كثير من الناس ــ ولو ذهب عند السيدة عائشة بدون أن يستأذنهن لرضين، لكنه القدوة، ثم إنه يشرع لنا أدبا ويحد لنا حدا لا ينبغي لأحد مهما علا شأنه أن يتجاوزه.. استئذان المرأة في حقوقها .. ثم لنتأمل اللفظة الأخرى.. فإن رأيتن أن تأذن لي .. ليس فقط الاستئذان بل الأدب في الاستئذان فمن حقها أن لا تأذن .. ثم الوضوح التام في الاستئذان فأكون عند عائشة.. ولن ندرك أهمية هذا التحديد وهذا الوضوح حتى نقدر الغيرة التي كانت بين أزواجه عليه الصلاة والسلام فقد كن حزبين متنافسين في التقرب له صلى الله عليه وسلم [27] لذلك قال فأكون عند عائشة، فإن أردتن فوافقن، وهل بإمكانهن ألا يأذن وهو صلى الله عليه وسلم أحب إليهن من آبائهن وأبنائهن وأنفسهن .. وأَذِنَّ له ولسان حالهن يقول: أحب ما تحب يا حبيبي..

خامسا وسادسا: يجيب دعوتهن ويقبل هديتهن:

إجابة الدعوة تدخل السرور في النفس وتورث الثقة بين الناس كما أن الهدية تستل السخيمة وتعمق المحبة والمودة لذلك نراه صلى الله عليه وسلم يراعي ذلك في علاقاته الاجتماعية مع كل الناس:

عن أنس بن مالك: أن جدته مليكة دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعته له فأكل منه ثم قال: قوموا فلأصل لكم، قال أنس: فقمت إلى حصير أسود من طول ما لبس فنضحته بماء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصففت أنا واليتيم وراءه والعجوز من ورائنا فصلى لنا رسول الله عليه الصلاة والسلام ركعتين ثم انصرف)[28] فرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستجيب لدعوة الجدة العجوز مليكة بنت مالك بن عدي جدة أنس لأمه كما قرره صاحب الإصابة[29] يشعرها بالفخر والمنزلة الرفيعة فكأني بها تفاخر بين النساء بهذه الدعوة وبهذه الإجابة المباركة، وهذه طبيعة بشرية بحتة فمثل نفسك وقد دعوت صالحا أو حاكما مسلما فاستجاب لدعوتك وأكل من طعامك في بيتك المتواضع – حصير قد أسود من

طول ما لبس – ما أظن الأرض ستتسع لفرحتك وحبورك، فما بالك بدعوة سيد الصالحين والمصلحين وإمام البشرية في الدنيا والدين.. إذن فمن حقها أن تفخر ومن واجبنا أن نقتدي بالقدوة في معاملته للنساء صلى الله عليه وسلم.

عن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة ببردة قال سهل: هل تدري ما البردة؟ قال: نعم هي الشَّمْلة منسوج في حاشيتها قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أَكْسُوكَها فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنها لإزاره فجسها رجل من القوم فقال: يا رسول الله أكسنيها قال: نعم فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه قال له القوم، ما أحسنت سألته إياها وقد عرفت أنه لا يرد سائلا، فقال الرجل: والله ما سألتها إلا لتكون كفني يوم أموت، قال سهل: فكانت كفنه)[30]

قال في الفتح(جاءت امرأة): لم أقف على اسمها.[31] ولا يهمنا من تكون هذه المرأة الصالحة فالله يعرفها، لكننا ننصت لها بأدب وهي تخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلة: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فهي هدية لك يا رسول الله هدية من امرأة فيقبلها بل ويخرج أمام أصحابه وإنها لإزاره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أهدت أم حفيد خالة ابن عباس إلى النبي صلى الله عليه وسلم أقطا وسمنا وأضبا فأكل النبي صلى الله عليه وسلم من الأقط والسمن وترك الضب تقذرا، قال ابن عباس: فأكل على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم.[32] هدية أم الحفيد ــ أو هزيلة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة أم المؤمنين ــ طعام فيقبله صلى الله عليه وسلم فيأكل ما يشتهي منه ويدع ما لا يشتهي .. وهذه عادته صلى الله عليه وسلم في الطعام أنه ما عاب طعاما قط.. أما أم حفيد فهنيئا لها إذ أدخلت في جوف النبي صلى الله عليه وسلم المبارك طعاما من صنع يديها.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فقط يقبل الهدية من الصحابيات بل ويهديهن فهذا النعمان بن بشير يقول: أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم عنب من الطائف فدعاني فقال:

خذ هذا العنقود فأبلغه أمك فأكلته قبل أن أبلغه إياها، فلما كان بعد ليال قال لـي: مـا فعـل العنقود؟ هل أبلغته أمك؟ قلت: لا قال: فسماني غدر.[33]

سابعا: يشاركهن في أفراحهن:

عن الربيع بنت معوذ قالت: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علي غداة بني بي فجلس على فراشي كمجلسك مني وجويريات يضربن بدفوفهن ويندبن من قتل من آبـائي يوم بدر ، إلى أن قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسكتي عن هذا وقولي الذي كنت تقولين قبلها.[34] يدخل عليها رسول الله ليلة زواجها، ويجلس على فراشها ويشاركها فرحتها التي زادت بتشريفه لها بهذه الزيارة، بل ويستمع إلـى الجويريات اللاتي يضربن بدفوفهن .. وفي ظل هذه السعادة الغامرة يسمع رسول الله صـلى الله عليه وسلم الجويريات ينحرفن بغنائهن من المباح إلى المنهي عنه: وفينا نبي يعلم ما فـي غد، ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى إذن دعي هذه وقولي الذي كنت تقولين فليس معنى الفرح أن نتناسى مبادئنا وأصول شريعتنا .. وإن كان في ذلك مدحه صلى الله عليه وسلم فالحق أحـق بالاتباع .. أما أنت يا ربيع فافخري على النساء جميعا فرسول الله شاركك الفرحـة وحـضر حفل زواجك.

وعن ابن عباس رضي الله عنهم قال: أنكحت عائشة ذات قرابة لها مـن الأنـصار فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أهديتم الفتاة قالوا: نعم قال: أرسلتم معها من يغني؟ قالت: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الأنصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول:" أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم"[35] متابعة عجيبة لكل صغيرة وكبيرة.. يدير شؤون دولـة مسلمة تنصب رجليها وسط وحل من الكفار وتتناوشها السيوف من كل مكان ومع ذلك يهـتم بفرحة هذه المسلمة بل يعلمهم بعض الأبيات التي يمكن أن يتغنوا بها..

" أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم" لأن الأنصار قوم فيهم غزل إذن فلابد من هدية للفتاة لتفرح في يوم عرسها وتطرب كما هي عادة الأنصار .. ولتـشعر المـرأة بحنـان أخواتهـا

وفرحهن بفرحها ولتبقى ذكريات هذا الحب ببقاء هذه الأبيات وهي ترن في أذنها .. أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم...

ثامنا: يسمع شكاواهن:

المرأة مخلوق ضعيف مهما أظهرت من قوة هذا الضعف .. هذا الضعف أصل في خلقتها وأساس في بنيتها فلا ضير إذن أن تكثر الشكوى وتضجر من أقل بلوى فإذا وجدت قلبا مفتوحا لكل مشاكلها وأذنا صاغية لجميع استغاثاتها فلا عجب أن تركن إليه وتعتمد عليه .. وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم مع الصحابيات تخبرنا بذلك:

حبيبة بنت سهل الأنصارية فتقول: أنها كانت تحت ثابت بن قيس بن الشماس وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الصبح فوجد حبيبة بنت سهل عند بابه فقال رسول الله: من هذه؟ قالت: أنا حبيبة بنت سهل فقال: ما شأنك؟ قالت: لا أنا و لا ثابت بن قيس لزوجها، فلما جاء ثابت بن قيس قال له: هذه حبيبة بنت سهل وذكرت ما شاء الله أن تذكر، وقالت حبيبة: يا رسول الله كل ما أعطاني عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ منها، فأخذ منها وجلست هي في أهلها. وفي رواية أخرى: أنه ضربها فكسر بعضها. [36] فهذه امرأة حدثت بينها وبين زوجها مشكلة .. تطورت إلى مرحلة يصعب فيها الجمع بينهما مرة أخرى .. فهو قد ضربها وكسر بعضها .. فلم تنتظر حتى تشرق الشمس بل اتجهت إلى الباب الواسع الذي لا يغلق في أي وقت من ليل أو نهار .. إلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراها وهو خارج لصلاة الصبح فيسألها عن شأنها .. فلم يتعجل الحكم بل حقق في هذه المسألة مع زوجها ثابت.. وآخر الدواء الكي .. فليكن الكي إذا كان فيه الشفاء . وهكذا تخلصت هذه الصحابية من مشكلتها بفضل الله ثم بفضل رسوله صلى الله عليه وسلم.

وعن عكرمة أن رفاعة طلق امرأته فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير القرظي، قالت عائشة رضي الله عنها: وعليها خمار أخضر فشكت إليها وأرتها خضرة بجلدها فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ والنساء ينصر بعضهن بعضا ــ قالت عائشة: ما رأيت

مثل ما يلقى المؤمنات؟ لجلدها أشد خضرة من ثوبها، قال وسمع أنها أتت الرسول عليه الصلاة والسلام فجاء ومعه ابنان له من غيرها قالت: والله ما لي إليه من ذنب إلا أن ما معه ليس بأغنى عني من هذه وأخذت هدبة من ثوبها فقال: كذبت والله يا رسول الله ، إني لأنفضها نفض الأديم ولكنها ناشز تريد رفاعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان ذلك لم تحلي له أو لم تصلحي له حتى يذوق من عسيلتك قال: وأبصر معه ابنين له فقال: بنوك هؤلاء؟ قال: نعم قال: هذا الذي تزعمين ما تزعمين فوالله لهم أشبه به من الغراب للغراب"[37]

وهذه قضية أخرى تعرضها تميمة بنت وهب ـ كما صرح صاحب الفتح[38] ـ زوجة عبدالرحمن بن الزبير على رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق السيدة عائشة تبغي بذلك نصرتها كما قال عكرمة وبينه العسقلاني [39] وقد قدمت السيدة عائشة مقدمة رائعة تنصر بها صاحبتها.. "ما رأيت مثل ما يلقى المؤمنات .. لجلدها أشد خضرة من ثوبها .." ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رباه الله تعالى على العدل لا يحكم حتى يسمع المتخاصمين فقامت تميمة تعرض حجتها وتصرح عن مكنون نفسها .. أن ما معه ليس بأغني عني من هذه وأخذت هدبة من ثوبها . هذه الصراحة أدت إلى انزعاج الصحابي خالد بن سعيد وهو واقف بالباب لم يؤذن له فقال لأبي بكر وقد كان جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تنهى هذه عما تجهر به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا والله ما يزيد رسول الله على التبسم كما قالت عائشة.[40]

وتبسم رسول الله كان تعجبا منها لتصريحها بما يستحي النساء من التصريح منه غالبا[41]

أنهت تميمة بهذا التصريح شكواها فقام الزوج يدافع عن نفسه فيكني ويقول: إني لأنفضها نفض الأديم وهو كناية بليغة في الغاية من ذلك لأنها أوقع في النفس من التصريح لأن الذي ينفض نفض الأديم يحتاج إلى قوة ساعد وملازمة طويلة.[42] ثم كيف تكون صادقة في زعمها وأدلة براءة زوجها بين يديه ابنين له من زوجة أخرى يشبهونه كما يشبه الغراب

الغراب فكان حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوى هذه المرأة " لم تحلي لـــه حتـــى يذوق عسيلتك، أو حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك كما ورد في رواية أخرى.[43]

لا يعني ضعف المرأة أن يكون الحق في جانبها دائما .. بل نسمع شـــكواها ونـــتفهم بلواها ونتحرى الأمر ثم نحكم بالعدل ، عن زينب أنها كانت تفلي رأس رسول الله صـــلى الله عليه وسلم وعنده امرأة عثمان ونساء من المهاجرات وهن يشتكين منازلهن أنها تضيق عليهن ويخرجن منها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تورث دور المهاجرين النساء، فمـــات عبدالله بن مسعود فورثته امرأته دارا بالمدينة.[44]

هنا مشكلة عامة تعرضها النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت راحته مع زوجته زينب رضي الله عنها مشكلتهن تتلخص في أنهن مهاجرات في ســـبيل الله تعـــالى تركن كل الدنيا في مكة وقطعن روابط الرحم الجاهلية من أجل الإسلام وهنا في المدينة يسكن مع أزواجهن ، فإذا مات الزوج ضيق الورثة عليهن في السكنى فيخرجن ولكـــن إلـــى أيـــن؟ فيكرم النبي عليه الصلاة والسلام هؤلاء المهاجرات بحكم خاص "لأنهن في المدينة غرائب لا عشيرة لهن" ثم لأنهن جاهدن وبذلن فهو يقدر لأهل الفضل فضلهم ويقدر المرأة ويصغي لها.. يحل مشاكلها في أي وقت من أوقاته حتى تتفرغ للمهمة التي خلقـــت مـــن أجلهـــا .. تربيـــة الأجيال.

تاسعا: يبايعهن:

البيعة عقد وعهد ربطه الله تعالى بنفسه.. فما إن تبايع حتى تشعر أن الله حاضر في هذه البيعة وأنه هو صاحب هذه البيعة .. هذا الشعور يولد في الـــنفس معنـــى الخـــوف مـــن النكوث والنكوص مهما تباعد الزمان.. فالبيعة مع الله والله حاضر لا يغيب.

بالبيعة يشعر الإنسان أنه مرتبط وأنه ملتزم ، وأنه هو الفـــائز إن وفّـــى{إِنَّ الَّـــذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَـــا

عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً }[45] وأنه هو الخاسر إن نكث على عقبيه " فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ"

بالبيعة يشعر الإنسان بالعزة والخوف .. بالعزة لأنه انضم إلى ركب المؤمنين وأنه وضع يده في يد الله تعالى وأنه ينتمي لدعوة الله تعالى، وبالخوف لأنها أمانة وأمانة ثقيلة تحتاج إلى جهابذة.

هذا المفهوم السامي للبيعة هو الذي جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يبايع النساء .. كما يبايع الرجال .. فتشعر المرأة بعدها أنها في مصاف الجهابذة.. فتربي الأجيال بهذه النفسية العزيزة السامية ، وتشعر أنها تنتمي إلى جماعة المسلمين فلا تخشى على نفسها شيئا فالكل معها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:"كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن بقول الله تعالى:" يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين .. إلى آخر الآية[46] قالت عائشة رضي الله عنها: فمن أقر بهذا من المؤمنات فقد أقر بالمحنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن: انطلقن فقد بايعتكن ولا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام"[47]

وبنظرة على شروط البيعة من خلال آية بيعة النساء ندرك بعض السر في استطاعته صلى الله عليه وسلم إخراج ذلك الجيل من الصحابيات قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[48]

قال سيد قطب رحمه الله تعالى:" هذه الأسس هي المقومات الكبرى للعقيدة، كما أنها مقومات الحياة الاجتماعية الجديدة فإذا بايعن على هذه الأسس الشاملة قبلت بيعتهن واستغفر لهن رسول الله عما سلف إن الله غفور رحيم"

هذه امرأة من المبايعات توضح لنا بعض ما أخذ عليهن فتقول:" كان فيما أخذ علينـــا أن لا نعصيه فيه: أن لا نخمش وجها، ولا ندعو ويلا، ولا ننشر شعرا"[49] فالبيعة هنا تعني أن لا صلة لكن بالعادات السيئة التي ورثها المجتمع الجاهلي فتخلصن منها لأنكن تشكلن مجتمعا آخر لا ينبغي أن تقذره سوءات غيره من المجتمعات الجاهلية.

مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ عليهن البيعة إلا أنـــه يعــرف ضـــعف الإنسان وأنه قد يتعرض للفتور أحيانا لذلك كان صلى الله عليه وسلم يبايعهن ويقول لهن: فيما استطعتن وأطقتن.[50]

ولذلك أيضا كان صلى الله عليه وسلم يذكرهن بهذه البيعة كلما سنحت له فرصة يقول ابن عباس:"شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكــر وعمــر وعثمان رضي الله عنهم فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعد، فنزل نبـــي الله صـــلى الله عليه وسلم فكأني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بـــلال فقال:" يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يـــسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن و لا يأتين ببهتان يفترينه بين أيدينهن وأرجلهن.. حتى فرغ من الآية ثم قال حين فرغ : أنتن على ذلك؟ وقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها: نعم يا رســـول الله، لا يدري الحسن من هي؟ قال: فبسط بلال ثوبه ثم قال: هلم لكن فداء أبي وأمي فيلقـــين الفـــتح والخواتيم في ثوب بلال"[51] إذن كان رسول الله يبايع النساء ويأخذ عليهن العهد ويؤكد دورهن في البناء، ومن جانبهن وفين بالبيعة وصدقن العهد.. أي إن كنـــتن علـــى البيعـــة فتـــصدقن والنتيجة.. نعم نحن على العهد وهذه الخواتيم والفتخ.. ووقع في مسلم ذكر الخلاخل .. دليـــل ذلك.

قال في الفتح:" وفي الحديث من الفوائد أيضا استحباب وعظ النساء وتعليمهن أحكـــام الإسلام وتذكيرهن بما يجب عليهن .. وتخصيصهن بذلك في مجلس منفرد ومحل ذلك كله إذا أمن الفتنة والمفسدة.. ثم قال: وفي مبادرة تلك النسوة إلى الصدقة بما يعز عليهن من حلـــيهن

مع ضيق الحال في ذلك الوقت دلالة على رفيع مقامهن في الدين وحرصهن على امتثال أمـر الرسول صلى الله عليه وسلم.[52]

عاشرا: بشعرهن بالمسؤولية:

نعم المسؤولية ... أليست المرأة شقيقة الرجل؟ فعليها كما عليه تقع الأعباء والتبعات.. وكل منهم يقوم بدور البناء في المجتمع المسلم ثم هو مسئول أمام خالقه العدل عن رصيد الأيام والليالي من الصواب والخطأ {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[53] وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم كل منهما إلى دوره فقال:" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"[54]

الأمير في البداية والعبد في النهاية وبينهما أفراد المجتمع من الأب الذي جعله رسول لله صلى الله عليه وسلم مسئولا عاما على أهل بيته ثم الأم مسئول خاص على بيت زوجها وولده فكل منهم يتحمل نوعا من المسؤولية عبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله" راع" (والراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما أتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه، ورعاية الرجل أهله هو سياسته لأمرهم وإيصالهم حقوقهم، ورعاية المرأة تدبير أمر البيت والأولاد والخدم والنصيحة للزوج في كل ذلك)[55]

فهي إذن صنو الرجل في المسؤولية بإشعارها بهذه المسؤولية في هذا المجال الذي هو مجال تخصصها تأكيد بأن تبدع في القيام بواجباتها ومسؤولياتها ترن في أذنيها كلمات حبيبها عن المسؤولية فعليها أن تعد الإجابة على هذا السؤال وأن تقدم ورقة عملها وبرنامج تربيتها ورعايتها لبيتها وزوجها وأولادها فهي مسئولة؟

ثم هناك مسؤولية أخرى تنبه عليها الشفاء بنت عبدالله حين تقول:" دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال لي ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة"[56]

الشفاء بنت عبدالله .. "القرشية عدويه أسلمت قبل الهجرة وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله يأتيها فيقيل في بيتها، وكان عمر رضي اله عنه يقدمها في الرأي ويرضاها ويفضلها وربما ولاها أمر السوق، قال أحمد بن صالح: اسمها ليلى و غلب عليها اسم الشفاء"[57]

هذه الشفاء علمت حفصة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم الكتابة وأدت مسؤولياتها العلمية، ولكن رسول الله يضيف لها برنامجا آخرا بسيطا وهو تعليم السيدة حفصة رقية النملة.. والنملة بفتح النون وسكون الميم قروح تخرج في الجنب أو الجنبين ويقال أنها تخرج في غير الجنب ترقى فتذهب بإذن الله تعالى"[58]

والمربي يتابع المسيرة العلمية المباركة بين النساء ويعطي توجيهاته في ذلك ويشجع المرأة ويؤكد مسؤوليتها العلمية تجاه أختها.

ثم تروي لنا أم هانئ بنت أبي طالب بعدا آخر في معنى المسؤولية التي زرعها النبي صلى الله عليه وسلم في النساء فتقول: ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب قالت: فسلمت فقال:من هذه؟ فقلت: أم هانئ بنت أبي طالب فقال: مرحبا بأم هانئ فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا في ثوب واحد، فلما انصرف قلت: يا رسول الله زعم ابن أمي علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلا أجرته فلان بن هبيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، قالت أم هانئ وذلك ضحى"[59]

استجار بها رجل مشرك فأجارته .. كأنها تمثل الدولة .. فيقرها رسول الله على هذه المسؤولية السياسية التي تحملتها.

حادي عشر : يشاركن الرجال في أعمال الخير :

قال الله تعالى{وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ }[60] هذه المسارعة وهذا السباق للمغفرة والجنة سباق مفتوح .. للرجال والنساء .. على حد سواء فالجميع مدعو للمشاركة فيه.. وطالما فازت امرأة وتخلف رجل. توضح لنا عائشة رضي الله عنها فتقول: لقد كان نساء من المؤمنات يشهدن الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متلفعات بمروطهن ثم ينقلبن إلى بيوتهن وما يعرفن من تغليس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة"[61]

يشهدن الفجر مع رسول الله في المسجد تربية للمرأة على نوع من التسابق في الأجر وتربية على التغلب على شيطان النوم والكسل ثم تربية للجيل القادم على النشاط وعلو الهمة. ليس الفجر فحسب، بل كثير من الصلوات حتى خصص لهن صلى الله عليه وسلم بابا في المسجد يدخلن منه وهو يقول لابن عمر: " لو تركنا هذا الباب للنساء" قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات" [62]

ثم ميدان آخر. يقول ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لامرأة من الأنصار: ما منعك أن تحجي معنا؟ قالت: كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه لزوجها وابنها وترك ناضح ننضح عليه قال: فإذا كان رمضان فاعتمري فيه فإن عمرة في رمضان حجة "[63]

حرص المربي على مشاركة من يربيهم في هذا المنشط التربوي والدعوي والإيماني والاجتماعي ألا وهو الحج ويزيد الحرص على المشاركة عندما نعلم أن هذه هي أول حجة له صلى الله عليه وسلم وآخر حجة فتفويت المشاركة تقصير في نظر أصحاب الهمم العالية فيحق السؤال: ما منعك أن تحجي معنا؟ ولكن لأن لها عذرا يقبله المربي صلى الله عليه وسلم فإنه يدلها على ما يقارب هذه العبادة في الأجر والثواب عمرة في رمضان أي فإن فاتك هذا الخير فلا تفوتك عمرة في رمضان فإنها "تعدل في الأجر والثواب حجة لا أنها تسقط حجة الفريضة"[64]

ومن رائحة عبير الحجر الأسود والتضلع بماء زمزم المبارك والصلاة والطواف إلى أرض الجهاد حيث غبار سنابك الخيل وتناثر الأيدي والرقاب .. نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل هذه المرأة الصحابية لتترك بصماتها في هذا الميدان كذلك لتقول للنساء في كل زمان ومكان هكذا علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أفعل وقد صرحت بذلك أم عطية فقالت: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى".[65]

حيث مهمة في الجهاد تناسب طبيعتها وتناسب مقدرتها، وليست أم عطية وحدها بل هذه الربيع ـ التي حضر عليه الصلاة والسلام حفل زواجها وجلس على فراشها ـ تصدق أم عطية فيما قال قالت فتقول:" كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة"[66]

وقد أثبتت وجودها في أرض المعركة، وقالت بفعلها أنها أهل للوثوق بها، ،أهل للمشاركة وتحمل المسؤولية وذلك بشهادة إخوانها من المجاهدين يقول أنس رضي الله عنه:" ما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القرب ـ وقال غيره : تنقلان ـ على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم".[67]

عندما يجد الجد وينهزم الناس تبقى ثابتة تقوم بمهمتها خير قيام لأنها حصيلة تربية جهادية وتدريب على مثل هذه المهام يقول أنس:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار ليسقين الماء ويداوين الجرحى".[68]

قال النووي: فيه خروج النساء في الغزو والانتفاع بهن في السقي والمداواة ونحوهما وهذه المداواة لمحارمهن وما كان منها لغيرهم لا يكون فيه مس بشرة إلا في موضع الحاجة".[69]

بل يتعدى الأمر ذلك أحيانا إذا أحست بالخطر يقول أنس:"إن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرا فكان معها فرآها أبو طلحة فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر فقال لها

رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا الخنجر؟ قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، قالت: يا رسول الله، أُقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن".[70]

ويكفي أنه صلى الله عليه وسلم يضحك لما قالته فتفعل هذه الضحكة المباركة من المربي فعلها في نفس الصحابية المجاهدة وتتشجع أكثر لتطلب من رسول الله صلى اله عليه وسلم أن يقتل مسلمة الفتح لظنها أنهم منافقون ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليه مقدما اسمها وهذا شرف آخر إن الله قد كفى وأحسن.

وهكذا ينتقل عليه الصلاة والسلام في تربية الصحابيات على المشاركة من ميدان إلى آخر لتشعر أنها تبني مع الرجل المجتمع المسلم المثالي.

وبعد فهذا بعض ما وفقني الله تعالى لجمعه من وسائل وأساليب استطاع بها النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيد للمرأة ثقتها بنفسها وعزتها وكرامتها، وبأن لها القدرة على البناء كما الرجل، بل إن بناءها يمتد عبر الأجيال بتربية الرجال..

فالأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق.

<u>الأسلوب الثالث والرابع: التربية عن طريق الترغيب والترهيب:</u>

خلق الله تعالى الإنسان وفطر فيه الرغبة في النعيم واللذة والرهبة من التعب والحرمان والإثم وسوء المصير، لذلك نستطيع أن نقول إن استخدام أسلوب الترغيب والترهيب يعد من أكثر الأساليب أثرا وبعدا في التربية بل من أعمق الأساليب في إحداث التأثير المبكر على المتربي وخاصة أسلوب الترغيب لأنه يقع في دائرة ما تحب وما ترغب، أما الترهيب فإنه يقع في الدائرة المقابلة ما تكره وما تخاف، لذلك استخدم النبي صلى الله عليه وسلم مستفيدا من القرآن أسلوب الترغيب بكثرة.

يقول عطاء بن أبي رباح قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم قالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال: إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك قالت: أصبر قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف".[71]

انظر لهذا الأسلوب الترغيبي في الصبر على البلاء .. بصبرها تكون من أهل الجنة . وكم هي الجنة غالية .. تقطعت في سبيل الوصول إليها الرقاب وأزهقت الأنفس وضوت الأبدان بالسهر والصيام إن شئت صبرت ولك الجنة .. جنة أبدية مقابل الصبر على الصرع ليس وعدا مكتوبا.بل وعد حق من صادق أمين جعل الصحابة يشيرون إليها هذه المرأة السوداء من أهل الجنة.

وهذه عائشة تقول:" إنهم ذبحوا شاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما بقي منها قالت: ما بقي منها إلا كتفها قال: بقي كلها غير كتفها".[72]

الذي بقي في نظر السيدة عائشة رضي الله عنها هو ما تركته لهم ليأكلوه كتف الشاة فقط لأنها تصدقت بالجميع أما في نظر الرسول صلى الله عليه وسلم فالذي بقي هو جميع الشاة إلا كتفها الذي تركته مفهوم في نظر كثير من الناس مقلوب لكنه في نظر الخلص هو الصواب لأن الذي تأكله ينتهي به المطاف في الخلاء أما الذي تتصدق به فإنه يبقى وينمو حتى يثقل ميزانك يوم القيامة، حين يحتاج الإنسان للحسنة فيجدها قطعة اللحم التي أعطاها للفقير، فهي إذن التي تبقى بهذا التوجيه غير المباشر يرغّب صلى الله عليه وسلم في الصدقة فكأن عائشة رضي الله عنها قالت: يا ليتني تصدقت بالكتف كذلك ليبقى لي يوم القيامة أجرا وذخرا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء".[73]

ترغيب على قيام الليل ضمن برنامج أسري مربوط بالثواب من الله تعالى وهو الرحمة، "رحم الله رجلا... ورحم الله امرأة"، هذه اللفظة قد لا تلقي لها بالا في مدى سعة مفهومها فالرحمة تعني دخول الجنة والإنقاذ من النار لأنه لا يدخل الجنة أحد بعمله حتى أنت يا رسول الله ؟ حتى أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل".[74]

إذن هذه هي الرحمة من الله تعالى صمام أمان في كل عمل والترغيب بنيلها يلقي في النفس شعورا بالاندفاع والتسابق لقيام الليل فالذي يوقظ صاحبه وينضح في وجهه الماء إن لم يستيقظ تناله الرحمة والميدان للجميع. فليتنافس فيه المتنافسون.

عن صعصعة عن الأحنف قال: دخلت على عائشة امرأة معها ابنتان لـه، فأعطتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهن تمرة ثم صدعت الباقية بينهما قالت:فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال: ما عجبك؟لقد دخلت به الجنة".[75]

موقف عجيب أن تشق هذه المرأة التمرة الثالثة على ابنتيها و لا تأكل هي شيئا، وتخبر السيدة عائشة رسول الله بهذا الموقف الذي تعجبت منه فيستغل المربي هذه الفرصة ليوجه من خلال الموقف، وليرغب في تربية البنات والاهتمام بهن وليربط ذلك بثواب عظيم .. الجنة لقد دخلت به الجنة بصيغة الفعل الماضي .. دخلت، وهي بعد في الدنيا مبالغة في الحث على تربية البنات وترغيب في الإحسان إليهن يسرع بصاحبه إلى الجنة كأنه دخلها أي أنه أمر مفروغ منه، فلتتسابق المؤمنات في تربية البنات فالنتيجة الجنة.

ثم نراه صلى الله عليه وسلم يرغب في الإنفاق فيقول:" إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا".[76]

لها أجر يمتد إلى الزوج والخازن فيعم الخير بهذه النفقة بشرط.. من طعام بيتها .. فنبه صلى الله عليه وسلم إن هذا الإنفاق يكون من الطعام " لأنه يسمح به في العادة بخلاف الدراهم والدنانير في حق أكثر الناس وفي كثير من الأحوال".[77] وغير مفسدة تفيد أن هذا الإنفاق قد يكون على قدر يعلم به رضى الزوج في العادة وإلا حرمت الأجر إن لم يدركها

الوزر وبهذا الفضل المبارك الذي تتسع دائرته إلى أبعد حدود أطلق رسول الله يد المرأة بالإنفاق وأرضى الزوج لأنه ينال بذلك أجرا وأسعد الخازن إذ هو شريك الثلاثة.

أما أسلوب الترهيب الذي يفزع النفس المتمادية ويهيج مشاعر الخوف من سوء المصير والخاتمة فقد استخدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك لأن الله تعالى خلق الأنفاس البشرية متباينة في المشاعر والأحاسيس والاستجابة للمؤثرات فما يؤثر في هذه النفس ليس شرطا أن يحدث نفس التأثير في الأخرى وما يحرك هذه المشاعر قد لا يحرك ساكنا في النفس الأخرى فكان الضرب على أكثر من وتر في معالجة النفس يعني النجاح في هذا الميدان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا."[78]

يستخدم الرسول صلى اتلله عليه وسلم أسلوبا في الترهيب وسوء الخاتمة تضطرب منه أنفس المقصرات وتخشع أنفس الملتزمات في معنى هذا الحديث يقول النووي:" هذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان" لاحظ كلام النووي هذا وقد توفي سنة 676 هجرية وتأمل..

فما بال زماننا عافانا الله وإياك. وفيه ذم هذين الصنفين. كاسيات نقل فيها ثلاثة أقوال: كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها.. وقيل تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا بحالها .. وقيل تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها.(وأعتقد أن هذه الثلاث صفات تندرج كلها تحت معنى كاسيات عاريات)ثم قال: وأما مائلات مميلات فنقل فيه كذلك ثلاثة أقوال: مائلات عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه مميلات أي يعلمن غيرهم فعلهن المذموم .. وقيل: يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن .. وقيل: مائلات يمشطن المشطة المائلة وهي مشطة البغايا مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة أما معنى رؤسهن كأسنمة البخت أي

يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها)[79] هذا معنى الحديث كما ذكره النووي رحمه الله ومن خلاله نستطيع أن نقول: ما أبشع هذه الصورة التي صورها رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه المرأة التي خرجت عن حدود الأدب والحياء .. وتزيد الصورة قتامة في الأعين عندما نستشعر أنها من أهل النار .. امرأة من أهل النار تمشي على الأرض بين الناس نعرفها بوصفها.. متبذلة غير محتشمة سيئة الخلق بما فيها من كبر وبتشبهها بالبغايا وبإغوائها لغيرها.. لن تدخل الجنة .. ليس هذا فحسب بل لن تجد ريحها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا قال غير مسدد: تعني أنها قصيرة فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته"[80]

قالت عائشة أم المؤمنين: قصيرة في حق صفية أم المؤمنين.. ضرتها.. ولكن هذه الكلمة فيها من الضخامة بحيث يجعلها رسول الله تطغى على ماء البحر: لمزجته. سبحان الله كلمة واحدة تحدث هذه الصورة العجيبة.. ليس لأنها كلمة.. لكن لأنها تمثل خلق الغيبة التي صورها القرآن في صورة أبشع وأفظع {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ** وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ }[81] ولأنها تمثل ارتباطا بمجتمع لا ينبغي للمؤمن أن يتصل به.. فهي من أخلاق الجاهلية.. لذلك استدعت هذه الكلمة كل هذا التهويل والتحذير والترهيب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح"[82]

سبحان الله.. ما أرحم الله تعالى الذي يعلم أن من أقوى الشهوات في الإنسان هي شهوة النكاح والجماع فرتب للإنسان على حفظ فرجه من الحرام أجرا ويسر له مجالا يسد به شهوته .. ألا وهو الزواج ومن ثم حذر المرأة من عصيان الرجل وخاصة في مثل هذه التشويشات الجنسية.. فرتب على ذلك عقابا.. لعنتها الملائكة حتى تصبح.. واللعن يحتمل

معنيين إما الطرد من رحمة الله كما قال في فتح الباري:"وفيه جواز لعن الصاحب المسلم إذا كان على وجه الإرهاب عليه لئلا يواقع الفعل فإذا واقعه فإنما يدعى له بالتوبة والهداية"[83]

وإما مطلق السب، وأيا كان فالأمر خطير.. أن تسبك الملائكة أو تلعنك.. ما دام الزوج غضبان..وذلك حتى الصباح..

وعن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم: في أضحى ــ أو فطر ــ إلى المصلى فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار فقلن: ويم الله يا رسول الله ؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ولا دين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأتين مثل شهادة الرجل؟ قلن: بلى قال: فذلك نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى قال: فذلك: نقصان دينها.[84]

في توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم للحديث الخاص على النساء بعد الحديث العام دليل قاطع على أهمية تعليم المرأة وترغيبها بالخير وترهيبها من سوء الخاتمة وهنا يجلي رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء أمرا خطيرا رأيتكن أكثر أهل النار فتجزع الواحدة منهن من هذه الخاتمة .. ما الذي جعلنا أكثر أهل النار؟ فيبين لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض صفات المرأة الملازمة للكثيرات ــ إلا من رحم الله ــ تكثرن اللعن .. واللعن هو الطرد من رحمة الله .. وفي الدعاء باللعن تألي على الله تعالى وافتراء عليه .. وتكفرن العشير .. أي الزوج فإنه مهما عمل لإحداكن من عمل فإذا ما رأت منه عيبا نسفت كل عمله قلبت له ظهر المجن كأنه لم يعمل لها خيرا قط وهي صفة سيئة أن تنكر الجميل والفضل .. بهاتين الصفتين رأيتكن أكثر أهل النار .. فيتبادر سؤال طبيعي في ذهن كل واحدة منهن إذن هل أستسلم لقدري ؟ فأنا من أهل النار أم ماذا أفعل؟ وقبل أن يبدينه رد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا السؤال بأمرين: الأول ضمني من مفهوم المخالفة فإذا كانت هذه الصفات ــ تكثرن اللعن وتكفرن العشير ــ مما يورد الإنسان المهالك فلماذا لا ينقي نفسه

منها والثاني: صريح أن أكثري من الصدقة .. لأن الصدقة تطفئ غضب الرب سبحانه وتعالى .. وبذلك تنقذ نفسها من أن تكون من أهل النار..

والأحاديث في استخدام هذا الأسلوب كثيرة وقد وقفت على ما شرطت في مقدمة البحث.

الأسلوب الخامس: يربي بالترفيه والمزاح واللعب:

قلة من الناس يستطيعون إدراك معجزات النفس البشرية والخطوط المتوازية من الأمزجة والمشاعر فيها.. ومن هؤلاء القلة المعلم والمربي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان يتعامل مع جميع النفسيات، ولكن كان يربي كل نفس منها بالأسلوب الأثير لديها، ومن الأساليب التي كان يستخدمها صلى الله عليه وسلم أسلوب الترفيه والمزاح واللعب. ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم أن هذه النفس البشرية مهما تجاوزت مراحل الضعف الإنساني إلى أعمق مستويات الإيمان والسمو فإنها تحتاج إلى شيء من الانفتاح والاستجمام ــ إن صح التعبير ــ لأن القلوب إذا كلت عميت ، فروحوا عنها ساعة بعد ساعة، علك تمسك لجامها بذلك وإلا أحجمت وصعب قيادها.

إذن فلتكن فترات الاستجمام والخروج من الروتين المعتاد ــ أي في ظل الدائرة الإيمانية ــ ساعة بعد ساعة وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يشق طريقه في مسالك قلوب الصحابيات لأنه لم يكن أسير نمط تربوي واحد بل كان يتخير من النماذج التربوية والأساليب التوجيهية لكل نفس ما يصلحها فصنع بذلك المعجزات .. وأنا ناقل لك بعض مواقفه في مجال استخدام هذا الأسلوب .. أسلوب الترفيه والمزاح واللعب ــ لتدرك سر عظمة هذا المربي قبل كل المدارس التربوية الغربية والشرقية ..

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبوبكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فإما سألت النبي صلى الله عليه وسلم وإما قال: تشتهين تنظرين فقلت: نعم فأقامني وراءه خدي على خده وفي رواية لمسلم:" يسترني بردائه" وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة حتى مللت قال: حسبك قلت: نعم قال: فاذهبي. وفي رواية مسلم:" ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف. فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو"[85]

استفادت السيدة عائشة رضي الله عنها من فعل النبي صلى الله عليه وسلم فاستخرجت قاعدة عملية في التربية تقول:" فاقدروا قدر الجارية حديثة السن حريصة على اللهو" فهو صلى الله عليه وسلم القدوة كان يقدر هذا المعنى عندما اضطجع على الفراش وحول وجهه. ويخطر لي أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يحب أن يسمع الجاريتان وهما تغنيان .. ولكن يقدر أنها فتاة صغيرة تركها تسمع وحول وجهه.. ثم تقدير آخر وهو يقول لها: تشتهين تنظرين إلى لعب بني أرفدة.. فيتركها حتى تمل فتنسحب هي .. فليدرك من يتصدرون للتربية هذا المعنى في الإحساس بمشاعر من يربونهم.

عن النعمان بن بشير قال: استأذن أبوبكر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت عائشة عاليا فلما دخل تناولها ليلطمها وقال: ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يحجزه، وخرج أبوبكر مغضبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كيف رأيتني أنقذتك من الرجل؟ فمكث أبوبكر أياما ثم استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهما قد اصطلحا فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد فعلنا، قد فعلنا.[86]

نقاش بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والسيدة عائشة رضي الله عنها أدى إلى ارتفاع صوتها عليه صلى الله عليه وسلم حتى أن أبابكر سمعه من خارج الحجرة فدخل يريد أن يلطمها فحجزه النبي صلى الله عليه وسلم.. حتى هنا يبدو الحدث عاديا ولكن بعد ذلك يحول رسول الله صلى الله عليه وسلم جو الكآبة والحزن إلى مزحة خفيفة مع السيدة عائشة لعله يفرج عنها ــ مع ملاحظة أنها رفعت صوتها عليه ــ كيف رأيتني أنقذتك من الرجل؟

لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن البسمة تذهب الهم، وأنه ليس كل المشاكل يكون حلها بالصراخ والعويل، بل غالبا ما تكون الضحكة مفتاح الحل لكثير من المشاكل المستعصية..

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن إلي فيلعبن معي"[87]

من قولها: كنت ألعب بالبنات .. قد يستغرب الإنسان ويتساءل رغم أنها متزوجة .. كيف ذلك؟ لكننا نقول نعم إنها متزوجة .. وتلعب .. لكنها تزوجت وهي صغيرة السن كما نعلم [88] وليس معنى أنها تزوجت أن تكون قد تجاوزت سن اللعب وأصبحت بالزواج كبيرة السن كما يتخيل لكثير من الناس ثم (إن في هذا اللعب تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن)[89]

ومن هذا الباب كان صلى الله عليه وسلم يشجعها لتكسب مهارات الأم الناجحة من خلال الأم الصغيرة التي تمثل دور الأم مع لعبها .. ودماها.. ثم يشجعها لتكسب مهارات اجتماعية مع صواحباتها اللاتي يأتينها (فيتقمعن : أي يتغيبن حياء منه وهيبة)[90] وقد أثبتت كثير من الدراسات النفسية والتربوية هذه العملية، يقول أليسي ويتزمان:(يحتاج الأطفال إلى ظروف وفرص عدة ليلعبوا مع لداتهم فيهيئ لهم تلك الظروف ولا تشغلهم أكثر من اللازم بالأعمال الأخرى التي تتعارض مع أوقات لعبهم وحينما يأتي بأصدقائه للمنزل فرحب بهم وأكرم ضيافتهم وحاول أن تشيع في الجو روح الفكاهة والدعابة ولا تكن متزمتا)[91]

ثم إنه صلى الله عليه وسلم يريد أن يخلص هذه المرأة صغيرة السن من الملل والضجر والحياة الروتينية بشيء من اللعب واستقبال أصدقائها .. ولكل وقت.

ويتعمق صلى الله عليه وسلم في حسن التعامل مع زوجته عائشة عندما يدعوها لسباق في الجري .. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها وهي تتذكر الأيام الجميلة مع الرسول صلى الله عليه وسلم: أنها كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر قالت: فسابقته فسبقته على رجلي فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال: هذه بتلك السبقة"[92]

سباق بين الزوج والزوجة فتسبق الزوجة ... لأنها كانت جارية صغيرة السن كما تقدم فقد تزوجها صلى الله عليه وسلم وعمرها تسع سنوات وكان عمره صلى الله عليه وسلم حينها ما يقارب الخسمين عاما .. ففارق السن له دور هنا .. فلما كبرت هي وحملت اللحم فصارت امرأة ليست فتاة يافعة كما كانت سبقها ثم قال لها على وجه المزاح والدعابة .. هذه بتلك السبقة .. واحدة بواحدة..

هكذا كان صلى الله عليه وسلم يمسك بيده شفاف القلوب لأنه كان يعطي كل نفس من أنفاس الحياة معنى جديدا وأسلوبا مغايرا يحرك به مشاعر من حوله من المخلوقات ويضرب لكل وتر من أوتار النفس نغمته الخاصة فيطرب الجميع حوله .. ومن ثم ينقادون له ..

<u>الأسلوب السادس: التربية بالقصة:</u>

(الأسلوب القصصي في التعبير ــ اليوم ــ أسلوب ممتع إذا ما استوفى شروطه وأجيد صوغه وعرضه، لأن النفس البشرية تنساب معه، وتتملى جماله، وتنطبع بمغزاه وبون شاسع بين العبرة تلقى إلقاء مجردا وأختها التي تعرض في نسيج قصصي وأهم ميزات الأسلوب القصصي أنه سهل بسيط واضح، وهذه البساطة تجعل من القصة موضوعا يتفهمه الصغير كما يفهمه الكبير، ولهذا نرى أن الأصول التربوية التعليمية الحديثة قدرت الأسلوب القصصي حق قدره فصاغت معظم الموضوعات المدرسية في قالب قصصي فكان لذلك أثر نافع لا ينكر)[93]

وقبل كل التربويين كان صلى الله عليه وسلم ــ الذي أوتي جوامع الكلم ــ يستخدم هذا الأسلوب بصورة مثالية عجيبة..

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بينما كلب يطيف بركيه قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فاستقت له به فسقته إياه فغفر لها به.[94]

قصة عجيبة .. بغي من بغايا بني إسرائيل .. لأن قلبها مليء بالرحمة على حيوان كاد أن يقتله العطش .. كان جزاؤها أن غفر الله لها ما تفعل من ذنب .. مقابل هذه القصة العجيبة قصة أخرى يحدثنا عنها ابن عمر فيقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.[95]

هذه المرأة كانت النار نصيبها، لأن قلبها خال من الرحمة شديد القسوة .. على الحيوان عندما تسمع النساء المؤمنات مثل هذه القصص لا أشك أن ترسخ مبادئ الرحمة والرأفة بالحيوان في قلوبهن ثم لتسمع جمعيات الرفق بالحيوان أنا كنا أسبق منهم .. أن ديننا حثنا على هذا المعنى قبل أن يفكروا هم فيه .. أن نساءنا تعلمن ذلك قبل كل نساء العالمين وفي السنة كثير لمن أراد المزيد...

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب وقال: اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديها يمصه قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يمص إصبعه ثم مر بأمة فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها فقال: اللهم اجعلني مثلها فقالت له في ذلك فقال: الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون سرقت ولم تسرق زنيت ولم تفعل.[96]

في هذه القصة أعني قصة المرأة المرضع التي أخبر بها النبي صحابته نقف على فوائد نذكرها صاحب الفتح فقال:(... فيه المبالغة في إيضاح الخبر بتمثيله بالفعل)[97]

يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخدم وسيلة إيضاح عندما جعل إصبعه في فمه وأخذ يمصه و (إن نفوس أهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر فتخاف سوء الحال بخلاف أهل التحقيق فوقوفهم مع الحقيقة الباطنة فلا يبالون بذلك مع حسن السريرة كما قال تعالى عن أصحاب قارون حين خرج عليهم ـ ياليت لنا مثل ما أوتي قارون ـ وقال الذين

أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير [98] فهذه المرأة نظرت إلى ظاهر حال هذا الراكب، ذو شارة أي صاحب حسن وقيل صاحب هيئة ومنظر وملبس حسن يتعجب منه ويشار إليه، واستهجنت حال المرأة الفقيرة التي ذكر في بعض الروايات أنها حبشية أو زنجية وأنها ماتت فجروها حتى ألقوها، وأنهم يتهمونها بالزنا والسرقة وهي بريئة لا تزيد على أن تقول حسبي الله. (وفيه أن البشر طبعوا على إيثار الأولاد على الأنفس بالخير لطلب المرأة لابنها ورفع الشر عنه ولم تذكر نفسها)[99]

ثم في الحديث أو في هذه القصة القصيرة تتجلى قدرة الله تعالى الذي أنطق الطفل وألهمه الحكمة وفصل الخطاب .. هذه بعض دروس القصة النبوية التي نهل منها الصحابيات الخلق والالتزام .. وهي مفتوحة كذلك لتتربى عليها أجيال المؤمنين والمؤمنات بعد...

الأسلوب السابع: التربية على الشجاعة الأدبية والعلمية بفتح المجال للسؤال والاعتراض والمناقشة:

عندما يقتل الحياء الاندفاعة في الحياة، ويقيد الآهات في النفس، ويبدو الإنسان شاحبا بما أثقل قلبه من الهموم التي لا يستطيع إخراجها من قفصها، فينطوي هناك في ركن أو زاوية يفرج هموم نفسه بنفسه حينها يشعر بمعنى هذه الشجاعة التي تخرج مكنون الإنسان فيخرج ما في قلبه على شكل سؤال أو اعتراض عندها فقط يستطيع أن يعيش مع الأحياء حيا ناشطا بالحياة متحركا مع حركة عقله وجنبه مساهما في البناء ولو بسؤال لم يعرف إجابته أو بإجابة لم يقنع بها فيستوضح يريد المزيد، وله في كل ذلك الحرية هكذا تعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعته، وخاصة جماعة النساء فسمع أسئلتهن وناقشهن وتقبل اعتراضاتهن وفي جملة الأحاديث الآتية ندرك هذه المسألة:

عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء ــ أسماء بنت شكل ــ سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسل المحيض فقال: تأخذ إحداكن ماءها وسدرها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ

فرصة ممسكة فتطهر بها فقالت: وكيف تطهر بها؟ فقال: سبحان الله تطهرين بها. فقالت عائشة: كأنها تخفي ذلك تتبعين أثر الدم. وسألته عن غسل الجنابة فقال: تأخذ ماء فتطهر به فتحسن الطهور أو تبلغ الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شئون رأسها ثم تفيض عليها الماء. قالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.[100]

وعن أنس بن مالك قال جاءت أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له وعائشة عنده: يا رسول الله المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه؟ فقالت: عائشة: يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك، فقال صلى الله عليه وسلم لعائشة: بل أنت تربت يمينك، نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذلك. [101]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حوسب يوم القيامة عذب فقلت: أليس قد قال الله عز وجل:" فسوف يحاسب حسابا يسيرا" قال: ليس ذاك الحساب إنما ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب.[102]

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من جر ثوبه من الخيلاء لم ينظر الله إليه، قالت أم سلمة: يا رسول الله وكيف تصنع النساء بذيولهن؟ قال: ترخينه شبرا قالت: إذا تتكشف أقدامهن قال: ترخينه ذراعا لا تزدن عليه.[103]

عن أسماء بنت أبي بكر قالت: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن لي ابنة عريسا أصابتها حصبة فتمرق شعرها أفأصله؟ فقال: لعن الله الواصلة والمستوصلة.[104]

عن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتوه فصلوا فيه ــ وكانت البلاد إذ ذاك حربا ــ فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج في قناديله. [105]

عن شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة: يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على

دينك قال: قلت يا رسول الله ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ قال: يـا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ.[106]

وعن زينب امرأة عبدالله قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن قالت: فرجعت إلى عبدالله فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالصدقة فأته فسأله فإن كان ذلك يجزي عني وإلا صرفتها إلى غيركم قالت: فقال لي عبدالله: بل ائتيه أنت. قالت: فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتي حاجتها قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألقيت عليه المهابة قالت: فخرج علينا بلال فقلنا له: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن. قالت: فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله: من هما؟ فقال: امرأة من الأنصار وزينت فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: أي الزيانب؟ قال: امرأة عبدالله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لهما أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة. [107]

لن أكتب تعليقا أو شرحا على هذه المجموعة المباركة من الأحاديث لأنها تشرح نفسها وتوضح بالتالي منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في تربية الشجاعة الأدبية والعلمية عند الصحابيات .. لقد أخرجهن من جهالة جهلاء إلى أنوار العلم والحكمة .. فتوافين من شتى بأسئلتهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن من غير ضجر ورباهن من دون ضيق ولا ملل..

الأسلوب الثامن والتاسع: التربية المباشرة عن طريق التعليم والتوجيه الفردي والجماعي:

إضافة لكل الأساليب السابقة كان صلى الله عليه وسلم كذلك يستخدم هذين الأسلوبين من التربية المباشرة، فالتربية الجماعية تكون بطرق كثيرة منها جمع النساء في يوم محدد ومكان معين فيوجهن ويعلمن.

عن أبي سعيد قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فاجتمعن فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله ثم قال: ما منكن امرأة تقدم بين يديها ثلاثة إلا كان لها حجابا من النار فقالت امرأة: يا رسول الله واثنين قال: فأعادتها مرتين ثم قال: واثنين، واثنين، واثنين. [108]

أو يجمعهن ويرسل لهن عنه رسولا عن أم عطية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة جمع نساء الأنصار في بيت فأرسل إلينا عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم علينا فرددنا عليه السلام ثم قال: أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكن وأمرنا بالعيدين أن نخرج فيهما الحيض والعتق ولا جمعة علينا ونهانا عن اتباع الجنائز. [109]

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يدعوهن لحضور المجامع العامة فيستمعن الخطبة أن أو الدرس أو المحاضرة فيتعلمن منها ويشهدن دعوة المسلمين عن أم عطية: أن رسول صلى الله عليه وسلم كان يخرج الأبكار والعواتق وذوات الخدور والحيض في العيدين فأما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين قالت إحداهن: يا رسول الله إن لم يكن لها جلباب؟ قال: فلتعرها أختها من جلابيبها.[110]

عن عبدالله بن جعفر عن أمه أسماء بنت عميس قالت: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن عند الكرب: الله ، الله ربي لا أشرك به شيئا. [111]

وعن عبد الحميد مولى بني هاشم: أن أمه حدثته وكانت تخدم بعض بنات النبي صلى الله عليه وسلم أن ابنة النبي صلى الله عليه وسلم حدثتها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمها فيقول: قولي حين تصبحين: سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما فإنه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسي ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح[112]

وعن هنيدة الخزاعي عن أمه قالت: دخلت على أم سلمة فسألتها عن الصيام فقالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أصوم ثلاثة أيام من كل شهر أولها.[113]

عن أم سلمة قالت: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول عند أذان المغرب: اللهـم إن هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لي.[114]

وهكذا من المشاركة اليومية والمعاملة الحياتية واللقاءات الجماعية العلمية والتعليم الفردي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الصحابيات في التربية والتكوين..

الخاتمة:

بنظرة شاملة لهذا المبحث ندرك أمورا منها:

أولا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استغل كل الأوقات والمناسبات في عمليـة بناء المرأة المسلمة وتعليمها فهو صلى الله عليه وسلم يزورها فـي فرحهـا، ويعودهـا فـي مرضها، ويسمع شكواها، ويقبل هديتها، ويجيب دعوتها، يناقش أسئلتها، ويجتمـع بهـا مـع أخواتها ويضرب الأمثال ويقص القصص، ويستخدم أسلوب الترغيب والترهيب، وفي كل ذلك كان يربي ويوجه ويعلم، ويبني مفاهيم جديدة، ويقعد القواعد ويضع الأصول في كيفية البنـاء والتربية.

ثانيا: ثم إننا أمام هذا العملاق صلى الله عليه وسلم نقف مشدوهين، كيف بارك الله له في وقته، لا تمر دقيقة من ليل أو نهار إلا وله فيها عمل بينما كان يؤسس دولة وينـشئ أمـة ويربي جيلا، ويصنع نماذجا بشرية من القرآن كان كذلك يتابع أمورا بسيطة قد لا يلقي لهـا المتفرغ بالا فكيف بالمشغول؟؟ فهو يهدي أم النعمان بن بشير عنبا ثم بعد أيام يتابع هل وصل لها عنقود العنب؟ ، تتزوج فتاة فيسألهم هل أرسلتم معها من يغني؟، امرأة سوداء تقم المسجد فيفقدها فيسأل عنها فقيل له: إنها ماتت، فيقول: هلا آذنتموني فيأتي قبرها ويـصلي عليهـا. امرأة في عقلها شيء تقول: يا رسول الله إن لي إليك حاجة فيقول لها: يا أم فلان أنظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها ... إنها بركة الوقت .. بركة العمر الذي اتصل بالله تعالى فاستنار وأخذ النور يشع منه في كـل مكان ويدخل معه كل قلب.

ثالثا: إن المربي الناجح لا يعتمد أسلوبا معينا يحبس نفسه في إطاره بل عليه أن يستغل كل الإمكانات والوسائل لإنجاح العملية التربوية، فالنبي صلى الله عليه وسلم من خلال التنويع والتشويق واستغلال الوسائل المتاحة استطاع أن يبني ويؤسس وقد أثبتت الأساليب والوسائل التي استخدمها مفعولها السريع في نفوس الصحابيات فنشأ بذلك الجيل القرآني الفريد من المسلمات المؤمنات اللاتي تركن بصماتهن في كل الميادين .. العلم، الخلق ، الجهاد، الأدب... لذلك أوجه إخواني المؤتمرين أن لا يغفلوا عن التربية الصحيحة والمثالية على قدم النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة المسلمة الأم، الزوجة، البنت، الأخت...

رابعا: ومن خلال البحث السابق اتضح لنا دور المرأة المسلمة وكيف أنها كانت تسعى للعلم وتبحث عنه لم يمنعها الحياء والخجل، بل لم تمنعها عادات الجاهلية وصفات أهلها فطلبت العلم والعمل معا فنراها في جميع حالاتها في عمل.

خامسا: إدراك الرسول صلى الله عليه وسلم للدور العظيم الذي تقوم به المرأة في تأسيس المجتمع المسلم، فركز عليها وأعطاها وقته وراحته وقد أدرك أعداؤنا ذلك فأصابونا بمقتل يوم أن ركزوا على المرأة فنشروا فكرة التحرر بين نسائنا وليته كان التحرر من الجهل والخرافة بل التحرر من قيود الأخلاق والعادات والقيم فكان وهم التحرر هو بذاته قيد العبودية وصفد الذلة للشهوة الشيطانية، وتحررنا غاية التحرر فصارت المرأة سلعة على بطاقات الإعلانات تعرض مفاتنها ليقبل عليها أصحاب الشهوة والمال ومن ثم كانت بداية النهاية الأليمة لقصة المرأة بين النهضة والتعثر ولكن هل نقف مكتوفي الأيدي ونحن نرى مجتمعا يغرق في وحل الفساد..

اللهم لا ، فشد إذن يدي في يدك لنبدأ كما بدأ رائد الجيل محمد صلى الله عليه وسلم وعلى خطواته نسير لعلنا نصل بل سنصل بإذن الله فمسافة الألف ميل تبدأ بخطوة ، إذن فلتكن الخطوة...

ملخص البحث باللغة العربية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد: فالمرأة لا تزال هي سر نهضة الأمم، أو مدار هزيمتها، وعليها ولها تنصب الجهود، وتتحرك الأفكار، وقد أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القضية، فجعل المرأة محور اهتمامه وركز على تربيتها وإخراجها من عزلة الجاهلية ومقتها لها، بل ومن مقت أصحاب الديانات والأفكار التي كانت سائدة في عصره صلى الله عليه وسلم. ولكن الناظر في حال المرأة المسلمة في عصرنا هذا يجد البون شاسعا، والفرق كبيرا بينها وبين أختها ممن رباهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل لا تكاد تجد شبها إلا الاسم؟! فكان لا بد أن نسأل أنفسنا ما السبب؟ لماذا تراجعت المرأة المسلمة عن أداء دورها والقيام بذاتها في نفسها ومجتمعها؟! فأدركت أن هناك عوامل كثيرة منها وأهمها هو: أين تربت المرأة المسلمة في عصرنا؟ وكيف تربت؟ وما هي المناهج التي اعتمدت في تربيتها؟

فرأيت أن هناك انفصاما نكدا بين تربيته صلى الله عليه وسلم سواء في الطرق أم الأساليب أم المناهج وبين التربية في بلاد المسلمين. والتي مع الأسف أفسدت ذوق المرأة وسر صيانتها، وعنصر جمالها. فأردت أن أعرف ما هي الطرق والأساليب التي استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتربية الصحابيات حتى استطاع أن يخرج جيلا بل أجيالا من الجبال في كل مجالات الحياة وما جيل التابعين وأتباعهم إلا نتاج مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكان أن وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخدم أساليب تربوية كثيرة قسمتها إلى تسع أساليب وذكرت تحت كل أسلوب من الأساليب ما يؤكده ويوضحه من الأدلة الحديثية واكتفيت بدليلين أو ثلاثة حتى لا يطول البحث وإلا فالحديث ذو شجون:

أولا: أسلوب التربية بالقدوة.

ثانيا: التربية ببث روح الكرامة والعزة والتقدير والمكانة السامية. وقد ذكرت تحته وسائل اتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم لإثبات وتقرير هذا المعنى في نفوس الصحابيات ومن ذلك:

1- تغيير أسمائهن.
2- السلام عليهن.
3- زيارتهن وعيادتهن.
4- استئذانهن.
5- إجابة دعوتهن.
6- قبول هديتهن.
7- مشاركتهن في أفراحهن.
8- سماع شكواهن.
9- مبايعتهن.
10- إشعارهن بالمسؤولية.
11- مشاركتهن الرجال في أعمال الخير.

ثالثا ورابعا: التربية عن طريق الترغيب والترهيب.

خامسا: التربية بالترفيه والمزاح واللعب.

سادسا: التربية بالقصة.

سابعا: التربية على الشجاعة الأدبية والعلمية بفتح المجال للسؤال والاعتراض والمناقشة.

ثامنا وتاسعا: التربية المباشرة عن طريق التعليم والتوجيه الفردي والجماعي.

ثم ختمت البحث ببعض الملاحظات والتوصيات.

سائلا الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا إنه سميع مجيب.

الهوامش:

---

1 الحجرات17

2 آل عمران 103

3 في عدد يناير 1993 بعنوان: (Domestic Violence: Let our voices be heard) الاغتصاب العائلي فلندع أصواتنا تسمع.

4 في كتابه المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني ص33
5 الصف آية(2-3)
6 دراسات إسلامية الشهيد سيد قطب.ص112
7 الأحزاب (21).
8 البخاري ج1 /493(1661).
9 البخاري ج2/ 837(2732)
10 البخاري ج535/3 (4837)، مسلم ج2172/4 (2820).
11 مسلم ج1706/4 (2165).
12 البخاري ج600/2 (2024)، مسلم ج832/2 ، الترمذي ج152/3 (795).
13 البخاري ج213/1 (676).
14 النجم(4)
15 ابن ماجه ج1230/2 (3732).
16 مسلم ج1687/3ح2140
17 لسان العرب ج453/1
18 مسلم كتاب الأدب باب(3)حديث(2139)، أبو داود كتاب الأدب باب(70) حديث(4952).
19 الترمذي ج58/5 (2697).
20 ابن ماجه ج2/ 220 (3701).
21 مسلم ج4/ 1907 (2454)، ابن ماجة ج573/1 (1635).
22 مسلم ج1993/4 (4575).
23 أبو داود ج200/2 (3092).
24 أبوداود ج649/1 (2136).
25 أبو داود ج649/1 (2137).
26 البخاري ج781/2 (2588).
27 البخاري ج781/2 (2588).
28 البخاري ج141/1 (380)، مسلم ج457/1 (658).
29 الإصابة ج397/4 (1018).
30 البخاري ج381/1 (1277).

31 فتح الباري ج184/3 .
32 البخاري ج777/2 (2575).
33 ابن ماجه ج117/2 (3368).
34 البخاري ج1221/3 (4003)، الترمذي ج290/3 (1090)، أبو داود ج698/2 (4922).
35 البخاري ج1661/4 (5162)، ابن ماجة ج612/1 (1900).
36 أبو داود ج677/1 (2227)، النسائي ج169/6.
37 البخاري ج1858/4 (5825)، مسلم ج1057/2.
38 فتح الباري ج580/9.
39 فتح الباري ج581/9.
40 البخاري ج1120/3 (5792).
41 فتح الباري ج583/9.
42 فتح الباري ج347/1.
43 البخاري ج1121/3 (5793).
44 أبو داود ج2/ 196 (3080).
45 الفتح(10)
46 الممتحنة 12.
47 البخاري ج1558/3 (4891)، مسلم ج3 /1489 (1866)، ابن ماجة ج959/2 (2875).
48 الممتحنة(12).
49 أبو داود ج212/2 (3131).
50 ابن ماجة ج959/2 (2874).
51 البخاري ج292/1 (979).
52 فتح الباري ج468/2.
53 الأنعام(164)
54 البخاري ج1673/4 (5200)، مسلم ج1459/3 (1829).
55 فتح الباري ج112/13-113.
56 أبو داود ج403/2 (3887).
57 مختصر سنن الترمذي ج364/5.

58 معالم السنن للخطابي ج364/5.
59 مسلم ج498/1 (336).
60 آل عمران(133)
61 البخاري ج190/1 (578)، مسلم ج446/1 (331).
62 أبو داود ج211/1 (571).
63 البخاري ج525/1 (1782).
64 فتح الباري ج604/3.
65 مسلم ج1447/3 (9181)، ابن ماجة ج952/2 (2856).
66 البخاري ج889/2 (2882).
67 البخاري ج889/2 (2880)، مسلم ج1443/3 (1811).
68 أبو داود ج22/2 (2531).
69 مسلم بشرح النووي ج188/6.
70 مسلم ج188/12
71 مسلم ج199402576/4).
72 الترمذي ج644/4 (2470) وقال : هذا حديث صحيح.
73 أبو داود ج418/1 (1308).
74 البخاري ج2029/4 (6463)، ابن ماجة ج20/2 (4201).
75 البخاري ج422/1 (1418)، مسلم ج2027/4 (2629).، ابن ماجة ج1210/2 (3668)ز
76 البخاري ج1425/1 ، مسلم ج710/2 (1024)ز
77 مسلم بشرح النووي ج113/7.
78 مسلم ج1680/3 (2128).
79 مسلم بشرح النووي ج110/14.
80 أبو داود ج685/2 (4875)، الترمذي ج660/4 (2520).
81 الحجرات(12)
82 البخاري ج999/2 (3237).
83 فتح الباري ج258/9.
84 البخاري ج115/1(304)، الترمذي ج10/5(2613).

85 البخاري ج285/1(949)، مسلم ج1890/4(2441).

86 أبوداود ج178/2(4999).

87 البخاري ج1931/4(6130)، مسلم ج1890/4(2440).

88 ناقش كثير من الناس سر زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة عائشة وهي صغيرة وحاول كثير من المستشرقين الغمز واللمز في هذا الزواج ولكن من كان منهم من المنصفين نراه يعلن للناس أجمعين أن هذا الزواج لم يكن مستغربا ولا شاذا يقول المستشرق بودلي في كتاب الرسول ص129 من الترجمة العربية لفرج والسحار: " ولكن هذا الزواج شغل بعض مؤرخي محمد .. نظروا إليه من وجهة نظر المجتمع العصري الذي يعيشون فيه ولم يقدروا أن زواجا مثل ذاك كان ولا يزال عادة آسيوية، ولم يفكروا أن هذه العادة لا زالت قائمة في شرق أوربا. وكانت طبيعية في أسبانيا والبرتغال إلى سنين قليلة، وأنها ليست غير عادية اليوم في بعض المناطق الجبلية البعيدة في الولايات المتحدة الأمريكية...." أقول: ثم إن قريش وجبابرتها كانوا يتحينون فرصة يتهمون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كان هذا الزواج أمرا غريبا مستهجنا لما سكتوا عنه ولجعلوه مضغة أشعارهم ومنتدياتهم ولكنهم لم يفعلوا. بل نرى عمر رضي الله عنه يتزوج من أم كلثوم بنت علي وهي في مثل سن السيدة عائشة والأمثلة في ذلك كثيرة فتأمل.

89 مسلم بشرح النووي ج204/15.

90 مسلم بشرح النووي ج204/15.

91 التربية الاجتماعية للأطفال ويتزمان ص35.

92 أبوداود ج34/2(2578)، ابن ماجه ج636/1(1979).

93 شروح أدبية لنماذج من الأحاديث النبوية ص77.

94 البخاري ج1018/2(3321)، مسلم ج1761/4(155).

95 البخاري ج1082/2(3482)، مسلم ج1760/4(2242)، ابن ماجة ج1421/2(4256).

96 البخاري تج1078/2(3466).

97 فتح الباري ج291/7.

98 فتح الباري ج291/7.

99 فتح الباري ج291/7.

100 البخاري ج118/1(314)، مسلم ج161/1(332)، أبوداود ج37/1(314)، النسائي ج207/1، ابن ماجه ج210/1(642).

101 البخاري ج1023/2(3328)، مسلم ج250/1(310)، أبوداود ج111/1(237)، ابن ماجة ج197/1(600).

102 البخاري ج60/1(103)، مسلم ج2204/4(2876).

103 النسائي ج209/8.

104 البخاري ج1675/4(5205)، مسلم ج1676/3(2122).

105 أبو داود ج178/1(457).

106 الترمذي ج534/5(3513)، ابن ماجة ج1265/2(3850).

107 البخاري ج438/1(1466)، مسلم ج695/2(1000).

108 أبو داود ج366/1(1139).

109 أبو داود ج366/1(1139).

110 الترمذي ج419/2(539).

111 أبو داود ج477/1(1525)، ابن ماجة ج1277/2(3882).

112 أبو داود ج740/2(5075).

113 أبو داود ج744/1(2452).

114 أبو داود ج201/1(530)، الترمذي ج574/5(3589).